# موت العزيز

محمد ياسر القضماني

من أعظم أنواع الصبر على المصائب الصبر على موت العزيز من ولدٍ أو والدٍ أو أخٍ قريب !

ومن أحسن ما يخفف على المرء وقع هذا المصيبة ما قاله الله تعالى في كتابه : { **الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّـا إِلَيْهِ رَاجِعونَ** } البقرة ١٥٦.

من يفقه هذه الكلمات تهون عليه أكبر مصيبة ؛ فنحن بما نملك مِلكٌ لله سبحانه وتعالى ، وسنؤول ونرجع جميعاً إلى الله تعالى ، وسيرث الله الأرض ومن عليها { ... **وَلِلّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ** } آل عمران ١٨٠ فعلى ماذا نتأسف ونتحسر ، إننا مستأمنون ، وعما قريب ستُردُ الامانات ، وهل إذا أخذ صاحب الأمانة أمانته تحزن من فعله الحق ؟!

وقد قال رسول الله ﷺ: ( **لا تصيب أحداً من المسلمين مصيبةٌ فيسترجع عند مصيبته – أي يقول: إن لله وإنا إليه راجعون – ثم يقول: اللهم أجرني في مصيبتي وأخلف لي خيراً منها ، إلا فعل ذلك به** ).

وقد حفظت هذه الكلمات الصحابية الجليلة أم المؤمنين أم سلمة من زوجها أبي سلمة قبل رسول الله ﷺ ، تقول أم سلمة: فلما توفي أبو سلمة استرجعت في مصيبتي وقلت : اللهم أجرني في مصيبتي وأخلف لي خيراً منه – وفي لفظ: خيراً منها – ثم رجعت إلى نفسي وقلت : من أين خير لي من أبي سلمة ؟فلما انقضت عدتي استأذن عليّ رسول الله ﷺ وأنا أدبغ إهاباً لي ، فغسلت يدي من القَرَظ

وأذنت له ، فوضعت له وسادة من أدَم حشوها ليف ، فقعد عليها ، فخطـبني إلى نفسي ، فلما فرغ من مقالته قلت يارسول الله: ما بي أن لا تكون بـك الرغبـة ، ولكني إمرأة فيَّ غيرة شديدة ، فأخاف أن ترى مني شيئاً يعذبني الله به ، وأنا امـرأة قد دخلتُ في السن ، وأنا ذات عيال ، فقال: أمّا ماذكرت من الغيرة فسوف يذهبها الله عزّ وجلّ عنك ، وأما ما ذكرت من السن فقد أصابني مثل ما أصابك ، وأما ما ذكرت من العيال فإنما عيالك عيالي. فقالت أم سلمة بعدُ: أبدلني الله بـأبي سـلمة خيراً منه : رسول الله ﷺ.

أرأيت يأخي فضل الاسترجاع والتسليم ؟

وما يفعله الجهلة أهل الجزع عند فقد العزيز من ضرب ونتف وصراخ وهيـاج فيه تَسَخطٌ من القدر واعتراض على مراد الله تعالى !

وأذكر في هذا قول أبي سعد البلخي – رحمه الله تعالى – وهو يقـول: مـن أُصيب بمصيبة فمزق ثوباً أو ضرب خداً ، فكأنما أخذ رمحاً يقاتل به ربه عزّ وجلّ.

ومما أُثر في السنة على فقد الولد حديث أبي موسى الأشعري – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ :( **قال الله عزّ وجلّ: يا ملك الموت قبـضت ولـد عبدي ، قبضت قرة عينه وثمرة فؤاده ، قال: نعم . قال: فما قال ؟ قال: حمـدك واسترجع . قال: ابنوا له بيتاً في الجنة وسمّوه بيت الحمد** ).

هذا في فقد ولد فكيف إذا فقد أكثر من ولد ؟وقد جاءت نصوص في ولدين أو ثلاثة أو أربعة ؛ ويعظم الأجر بعظم الصبر ؛ وهذا إذا كان دون البلوغ ، ولا شـك أن المرء يعظم مصابه إذا مات له البالغ وبخاصة إن كان متفقهاً متأدباً بالأداب الجمة الكثيرة ذكياً فطناً بارا.

ومن الذخائر المأثورة أن عمر بن عبد العزيز – رحمه الله تعالى – مات له ولـد بار به جداً ، فكشف عن وجهه وقال : رحمك الله يا بني فقد سُررت بـك يـوم

بُشرت بك ، ولقد عُمِّرتَ مسروراً بك ، وما أتت علي ساعة أنا فيها أســرُّ مــن ساعتي هذه ، أما والله إن كنتَ لتدعو أباك إلى الجنة.

هكذا يا أخي فليكن الصبر على المصائب ، ورحم الله ابن أبي كثير القائل: لا فائدة في الجزع بعد الموت لأنه لا يرد فائتاً.

حقاً ماذا سيجني هذا المنسخط على ربه إلا الإثم ؟! بل إنه سيؤذي هذا الميــت ببكائه ، بما جاء في الحديث عن عمر بن الخطاب ﷺ عن النبي ﷺ ( **الميت يُعذب في قبره بما نيح عليه** ) متفق عليه.

ومعناه يصله ذلك فيتألم له ويتأثر ، ولو قدر على الكلام فقال: إنكم تــؤذونني ولاتنفعونني ابكوا على أنفسكم فعندكم تفريط ، وقد أفضيت إلى ربي.

ومن عجيب ما يذكر هنا أن عروة بن الزبير ابتُلي في سفرة إلى الشام بفقد رِجله وولده ولما رجع إلى الحجاز قال – وهو بوادي القرى –: لقد لقينا من سفرنا هــذا نصباً ، اللهم كان لي بنون سبعة ، فأخذت واحداً وأبقيــت لي ســتة ، وكــان لي أطراف أربعة فأخذت طرفاً وأبقيت ثلاثة ، ولئن ابتليت لقد عافيت ، ولئن أخذت لقد أبقيت.

وأحسن تعزية كانت له من إبراهيم بن محمد بن طلحة حيث قال لعروة لما رآه: والله ما بك حاجة إلى المشي ولا أرب في السعي ، وقد تقدمك عضو من أعضائك ، وابن من أبنائك إلى الجنة ، والكل تبع للبعض إن شاء الله. وقد أبقى الله منك ما كنا إليه فقراء من عملك ورأيك ، والله وليّ ثوابك ، والضمين بحسابك.

يا من ابتلي بفقد عزيز ارض بالقضاء ؛ ففي ذلك سعادتك. وقد أوحى الله إلى داود عليه السلام : ياداود ، إن أسلمت لي ما أريد كفيتك ما تريد ، وإن لم تسلم لي ما أريد أتعبتك فيما تريد ، ثم لا يكون إلا ما أريد.